المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579
مجلة اريكتيس للسوسيولوحية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

The Socioeconomic Status of Families and Its Relationship to Children's Academic Achievement

MAJIDA LOGHZEL
Université Hassane II, Casa Blanca
majida.loghzel-etu@etu.univh2c.ma
majidalogh25@gmail.com

Abstract: This article examines the relationship between families' socioeconomic status and children's academic achievement, emphasizing the need to distinguish between the various factors that influence educational outcomes. It identifies, on the one hand, factors that have an indirect or long-term impact on academic success and, on the other hand, factors that are directly related to the schooling process.
Among the family determinants with an indirect (distal) effect, socioeconomic status occupies a central position. It encompasses the material, cultural, and symbolic resources available to families, which shape the educational opportunities offered to children.
The article also draws on several sociological approaches that have examined the influence of the family on academic achievement. These approaches are grouped into three complementary perspectives: the economic perspective, which focuses on financial resources and educational investments; the cultural perspective, which highlights the transmission of knowledge, values, and cultural capital; and the social perspective, which examines family socialization processes, educational norms, and parenting practices that influence children's educational trajectories and academic success.
Keywords: Family, Academic Achievement, Children**.**

المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579
مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

الوضع السوسيو-اقتصادي للأسر وعلاقته بالنجاح المدرسي للأبناء

د. مجيدة لغزال
كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية
majida.loghzel-etu@etu.univh2c.ma
majidalogh25@gmail.com

ملخص : يحاول هذا المقال تسليط الضوء على علاقة الوضع السوسيو-اقتصادي للأسر بالنجاح المدرسي للأبناء ، وهو ما يقتضي منا التمييز بين عدد من العوامل والشروط التي تتظافر كلها في سبيل تحقيق هذا النجاح، ويتعلق الأمر بعوامل ذات تأثير بعيد المدى أو غير مباشر، وعومل أخرى مرتبطة ارتباطا وثيقا ومباشرا بتمدرس الأبناء.

ومن جملة العوامل الأسرية ذات التأثير غير المباشر أو البعيد (impact distal) نجد حيثيات الوسط الأسري السوسيواقتصادي .وسنقتصر في هذا المقال على رصد مختلف الاجتهادات السوسيولوجية التي عالجت موضوع تأثيرات الأسرة على النجاح المدرسي للأبناء من خلال: دور الوسط السوسيواقتصادي ودور التنشئة الأسرية، وذلك بالانفتاح على المقاربة الاقتصادية ثم الثقافية وأخيرا الاجتماعية.

الكلمات المفاتيح: الأسرة، النجاح المدرسي، الأبناء.

مقدمة

إن الحديث عن أثر الأسرة في تيسير النجاح المدرسي للأبناء، يقتضي منا التمييز بين عدد من العوامل والشروط التي تتظافر كلها في سبيل تحقيق هذا النجاح، ويتعلق الأمر بعوامل ذات تأثير بعيد المدى أو غير مباشر، وعومل أخرى مرتبطة ارتباطا وثيقا ومباشرا بتمدرس الأبناء.

ومن جملة العوامل الأسرية ذات التأثير غير المباشر أو البعيد (impact distal) نجد حيثيات الوسط الأسري السوسيواقتصادي .وسنقتصر في هذا المقال على رصد مختلف الاجتهادات السوسيولوجية التي عالجت موضوع تأثيرات الأسرة على النجاح المدرسي للأبناء من خلال: دور الوسط السوسيواقتصادي ودور التنشئة الأسرية.

الوضع السوسيو-اقتصادي للأسروعلاقته بالنجاح المدرسي للأبناء

تجب الإشارة إلى وجوب رفع اللبس عن عبارة: الوضع السوسيواقتصادي في علاقتها مع بعض العبارات أو المفاهيم القريبة منها، مثل مفهوم "الانتماء الاجتماعي" أو" المكانة الاجتماعية " أو" الطبقة" أو" الأصل الاجتماعي"(TAZOUTI , 2021). فمفهوم الانتماء الاجتماعي يحيل إلى معنى ضيق يتعلق فقط بالوضع الذي تحتله الأسرة من حيث مهنة الآباء والأمهات والأولياء ودرجاتهم العلمية ومراتبهم في سلم الوظيفة... وهو معنى قريب من مفهوم المكانة الاجتماعية التي تحيل إلى الوضعية التي تحتلها الأسرة داخل الهرمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ومقدار المساهمة التي تقدمه الأسرة للمجتمع. وأما الطبقة، فهي مفهوم ذو حمولة فكرية ودلالية ماركسية لا يكتسب مشروعيته كأداة للبحث السوسيولوجي إلا في إطار المجتمعات التي تعرف تقسيما طبقيا واضحا. وأخيرا، وفيما يخص مفهوم الأصل الاجتماعي فإنه يحيل إلى جذور الأسرة، وما يمكن أن تكون قد توارثته من جاه أو حسب أو نسب.

يتضح من خلال مقارنة مفهوم الوسط السوسيواقتصادي بباقي المفاهيم الأخرى، أن هذا الأخير هو الأكثر شمولية، والأكثر قدرة على التعبير عن المعنى المراد، لكونه:

- يشتمل على جميع أبعاد الوضع الأسري.
- مفهوما محايدا ومجردا من أية حمولة إيديولوجية أو عرقية أو طائفية.
- قابلا للتصريف إلى متغيرات دقيقة وواضحة.

وللإحاطة أكثر بهذا المفهوم يجدر بنا رصد مختلف الأبحاث السوسيولوجية والسوسيوتربوية التي تناولت علاقة الوضع السوسيواقتصادي بالنجاح المدرسي للأبناء، وذلك من خلال الوقوف على المقاربة الاقتصادية، ثم المقاربة الثقافية ثم المقاربة الاجتماعية، رغم صعوبة الفصل الواضح بين هذه الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

1-1 المقاربة الاقتصادية

يعتبر الكثير من الباحثين أن الوضعية الاقتصادية للأسر تشكل أبرز العوامل المؤثرة على النجاح المدرسي: فالمتعلمون الذين ينحدرون من أوساط اقتصادية ميسورة اقتصاديا ينجحون والمتعلمون الذين ينتمون إلى أسر فقيرة يفشلون.

إن مقارنة بسيطة بين إمكانات الطبقتين الغنية ومتوسطة الغنى مع الطبقة الضعيفة، تبين أن الطبقتين الثرية ومتوسطة الثراء تستطيعان توفير ظروف اقتصادية مريحة للأبناء، ما ينعكس إيجابا على أدائهم المدرسي، وخلافا لذلك تجد الطبقة الفقيرة نفسها عاجزة عن توفير أبسط الحاجيات والمتطلبات الاقتصادية الأطفال فتكون مردوديتهم الدراسية ضعيفة، كما تقل حظوظ نجاحهم المدرسي.

فالطبقات الغنية والمتوسطة تستطيع أن توفر للأبناء مسكنا لائقا، ولأن معدل الخصوبة لدى الأسر المنتمية لهذه الطبقات يكون في الغالب معدلا ضعيفا (طفل أو طفلين) فإنها تستطيع أن توفر غرفة لكل طفل، كما توفر له مختلف التجهيزات المطلوبة من أثاث ومكتب وكتب ومجلات وتلفاز وكمبيوتر ووسائل اللعب التي من شأنها مساعدته على تطوير ذكائه، كما توفر للأبناء فرص الانخراط في أندية رياضية راقية وأندية للترفيه ومراكز لتعلم اللغات...فضلا عن توفير هذه الأسر لأبنائها فرص السفر إلى دول أخرى من العالم لاكتشاف ثقافات ولغات أخرى...

خلافا لذلك تعيش الأسر الفقيرة ظروفا حياتية قاسية: نظرا لعجزها وعوزها وقلة مواردها الاقتصادية والمالية. ولأن معدل الخصوبة – في الغالب - مرتفع لدى هذه الأسر فتجدها محرومة من أبسط وسائل العيش الكريم: فلا مساكن لائقة ولا تجهيزات منزلية في المستوى المطلوب، ولا موارد دراسية تستجيب لشروط العمل والتحصيل المدرسي، ما يدفع الأبناء إلى قضاء معظم أوقاتهم في الشارع، أو البحث عن شغل أو عن دخل لمساعدة الأسرة، وغالبا ما تكون شروط هذا الشغل – إن وُجد - شروطا قاسية لا تخلو من استغلال واستعباد يتنافى مع حقوق الطفل. إن غياب الشروط الاقتصادية اللازمة هو إحدى العوامل الأساسية التي تؤدي بمعظمهم إلى الرسوب والتعثر، كما تدفع بغالبيتهم إلى المغادرة المبكرة للمدرسة أو السقوط في آفة الانحراف. وتنضاف إلى التفاوتات السابقة المتعلقة بالمسكن والتجهيزات والموارد الدراسية والأنشطة الرياضية والفنية الموازية للتمدرس، تفاوتات مجالية وجغرافية بين أبناء الأسر التي تقطن في الوسط الحضري، وتلك التي تقطن في الأوساط القروية وشبه الحضرية، حيث يعاني تلاميذ الأوساط غير الحضرية العديد من المشاكل التي تعرقل

دراستهم وتتسبب أحيانا في توقفهم الإرادي أو الاضطراري عن الدراسة: ومن بين هذه المشاكل البعد عن المدرسة وندرة وسائل النقل، وربما عزلة بعض الدواوير، أو هشاشة الطرق، وهو ما يؤدي إلى تأخر التلاميذ في الوصول في الوقت المحدد للمدرسة، وقد يتعطلون عن الدراسة خاصة في الأوقات المطيرة، وهو ما يحدث اضطرابا في مسيرتهم الدراسية ويدفعهم إلى مغادرة المدرسة بشكل مبكر.

بالإضافة إلى التفاوتات بين الوسط الحضري والوسط شبه الحضري والوسط القروي، هناك أيضا تفاوتات داخل المجال الحضري نفسه، بين المركز والهامش، فغالبا ما تحاط المدن بتجمعات سكنية عشوائية تجمع أسرا تعاني من الفقر والهشاشة، وقلة التجهيزات... وهذه الأسر مثلها مثل الأسر القروية وشبه الحضرية تجد صعوبة في توفير الأجواء المناسبة للتحصيل المدرسي لأبنائها. كما أن جل هذه الأسر تجد صعوبة في ضمان الحد الأدنى للعيش الكريم من مأكل ومشرب ولباس... فضلا عن توفير بيت لكل طفل وتلبية متطلباته الدراسية الضرورية، لذلك تجد الأجواء التي تغلب على هذه الفئة من الأسر هي التفكك الأسري وما يرافقه من عنف وانحراف.

وتشير العديد من الدراسات السوسيولوجية إلى وجود هذه العلاقة الترابطية بين التحصيل المدرسي للأبناء و الوسط الاقتصادي الذي ينحدرون منه، لعل أبرزها تلك التي قام بها المعهد العالي في هينو باد كالي Henu Bad Calais بفرنسا والتي أجريت على حوالي 620 متعلما ومتعلمة مأخوذين بصفة عشوائية من 29 صفا، اختبروا في عدد من المواد الدراسية، حيث أظهرت النتائج تفوقا واضحا لأبناء الفئات المستقرة وذات الدخل الاقتصادي العالي على أبناء الفئات الهشة و ذات الدخل الضعيف.

كما بينت نفس الدراسة أن الأطفال الذين يتعرضون للرسوب هم في الغالب من أبناء الفئات الفقيرة، حيث بلغت نسبة من لم يحالفهم الحظ في النجاح، عند أبناء الفئات الميسورة 5.5% بينما بلغت النسبة 28.2% عند أبناء الفئة المتوسطة و47.4% عند أبناء الفئات الفقيرة. (وطفة، 2022، ص2022).

وفي نفس سياق الدراسة السابقة يذهب العديد من السوسيولوجيين إلى ربط اللامساواة في النجاح المدرسي باللامساواة الاقتصادية بشكل مباشر(وطفة، 2022، ص2022). وفي هذا السياق ترى نويل بيسريBISSERET Noêlle أن: " امتلاك المال يمنح للأسر المحظوظة الشعور بالأمان الاقتصادي، وهو ما يسمح لأبنائهم باتباع مسار دراسي خطي ومسترسل، في حين يُلاحظ أن الأسر غير المحظوظة التي لا تستطيع تحمل تكاليف دراسة طويلة الأمد، يضطر أبناؤها إلى اختيار مسار دراسي قصير المدى" (BISSERET, 2020, p71).

وهو الموقف الذي أكده السوسيولوجي الفرنسي رايمون بودون Raymond Boudon الذي ذهب إلى القول بأن العامل الاقتصادي للأسرة يلعب دورا مهما في تحديد المسار الدراسي للأبناء (رغم دفاعه عن المنهج الفرداني)، ذلك أن هذا

المتغير يتحكم بصورة قوية في الاستراتيجيات التي تتبعها الأسر في التوجيه الدراسي لأبنائها، بحيث تسمح الأسر ذات الرأسمال المادي الوافر لأبنائها بمواصلة تعليم طويل الأمد، خلافا للأسر محدودة الدخل التي تضطر إلى توجيه أبنائها إلى مسار تعليمي قصير الأمد. فالأسر وإن كانت تتمتع بالاستقلالية في اختيار مصير أبنائها التعليمي في إطار قرارات فردية وعقلانية... إلا أن هذا الاختيار الفرداني يبقى في نفس الوقت محكوما بشروط اقتصادية موضوعية خارجة عن إرادة الأفراد. إنها اختيارات تخضع لاعتبارات ثلاثة:

- الاعتبار الأول: يتمثل في الوضع الاجتماعي La position sociale المتوقع الحصول عليه والفائدة le profit التي من المحتمل أن يجنيها الفرد وأسرته في حال الحصول على هذا الوضع.
- النفقات المرتبطة بتمويل الدراسات المؤدية لهذا الوضع (الكلفة le coût).
- خطر الفشل les risques الذي قد يواجه الابن/ البنت، خلال المسار التعليمي الذي يقع عليه الاختيار (BOUDON, p108).

وتبعا لهذه الحسابات العقلانية والموضوعية يرى رايمون بودون Raymond Boudon أن الأسر ذات الوضع الاقتصادي الضعيف غالبا ما تختار تعليما قصير المدى لأبنائها كالبكالوريا أو ما دونها، فيما تختار الأسر المتوسطة الدخل والعالية الدخل لأبنائها تعليما طويل المدى، ما فوق البكالوريا بسنتين أو بخمس سنوات أو أكثر، فالحسابات العقلانية للأسر الفقيرة تضطرها إلى التعجيل بإيقاف المسار الدراسي للأبناء في حدود الباكالوريا، وبعض هذه الأسر الأشد فقرا تدفع بأبنائها إلى سوق الشغل في مرحلة مبكرة من حياتهم الدراسية، وذلك قبل المرحلة الإعدادية أو الثانوية، لمساعدة هذه الأسر على ضمان تكاليف الحياة ، وهو ما يؤدي إلى حرمان الأطفال من فرص تحصيل مدرسي مماثل لزملائهم من أبناء الطبقات العليا والمتوسطة، ويفضي بالتالي إلى الانقطاع أو الهدر المدرسيين.

والواقع أن معظم الأسر ذات الدخل المرتفع، تستطيع الاستثمار في أبنائها، وذلك بأن توفر لهم جميع شروط الدراسة والتحصيل ، من قبيل حجرة خاصة ومكتب وكتب مقررة ومراجع إضافية...وكذا كل ما يحتاجون إليه من دعم ومساندة، على خلاف الأسر ذات الدخل المحدود التي تعجز عن توفير الحد الأدنى من الموارد التعليمية لأبنائها.

كما أن الأسر الميسورة اقتصاديا بإمكانها تعليم أبنائها في أحسن المدارس، بينما تضطر الأسر المعوزة إلى تسجيل أبنائها في أقرب مدرسة عمومية تصادفها. أضف إلى ذلك أن كثيرا من أبناء الفئات الفقيرة يضطرون إلى العمل أو مساعدة الأسرة في بعض الأعمال الفلاحية خصوصا، وهذه الموازنة الصعبة بين العمل والدراسة تؤثر سلبا على مردوديتهم الدراسية.

ووعيا من الدولة المغربية بأهمية العامل الاقتصادي في تشجيع الأسر على تعليم أبنائهم، اتخذت عددا من الإجراءات لصالح الأسر، تمثلت في برنامج " تيسير" ، وهو عبارة عن مساعدة مالية للأسرة عن كل طفل متمدرس تتراوح بين 60 و140

درهما شهريا حسب مستواه الدراسي، وكذا برنامج مليون محفظة كل سنة ، وتم تعويضه بالدعم المادي المباشر ، يستفيد منها الأبناء المتمدرسون من أسر معوزة (وتم برسم هذا الموسم جعل هذه المبادرة مباشرة، حيث يسحبها الأسرة نقدا لاقتناء كتب لأبنائهم في إطار الدعم الاجتماعي المباشر للأسر)، بالإضافة إلى عدد من البرامج المرتبطة بالدعم الاجتماعي المساعد على توفير ظروف التمدرس الجيدة، كتوفير النقل المدرسي، والإطعام المدرسي، والداخليات ، ودور الطالب والطالبة، فضلا عن توفير منصات رقمية للتعلم عن بعد Tilmide.Tice...

نفس الخلاصة توصلت إليها الدراسة الوطنية التي أُجريت من قبل المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي حول الأسر والتربية، إذ أكدت مدى التأثير الذي تلعبه العوامل السوسيواقتصادية في النجاح المدرسي للأبناء، إذ متى قل دخل الأسر أو كان مستواها الدراسي متدنيا، كانت معرفتها بالمنظومة التعليمية ضعيفة، وانعكس ذلك على ضعف مشاركتها وانخراطها في تربية وتدريس أبنائها، وهو ما يؤثر سلبا على مسيرتهم الدراسية (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2019، ص80).

2-1 المقاربة الثقافية

يلعب الوسط الثقافي للأسرة دورا مهما في تهييئ الأبناء لمسار دراسي ناجح وموفق، فالأسرة التي يتميز الأب والأم فيها بمستوى تعليمي عال، والتي تتوفر على رأسمال ثقافي وعلمي ولساني راقي، تستطيع أن تمد أبنائها بمفاتيح نجاحهم، وعلى العكس من ذلك فإن الأسرة التي تعاني من نقص ثقافي وضعف لغوي ومستوى تعليم متدن يكون أبناؤها عرضة للفشل والتعثر الدراسيين.

وفي هذا السياق يؤكد برينو Perrenoud " أننا نعرف جيدا أن المتعلمين ينحدرون من ثقافة هي ثقافة أسرهم وأحيائهم ومجموعات الانتماء وكذا طبقاتهم الاجتماعية. إنهم كل حسب انتماءاته "ورثة"، غير أن السوق المدرسية تجعل من بعض ذلك الإرث ذهبا، وتجعل من الإرث الآخر عملة زهيدة. إن الأطفال الذين نمَوا و ترعرعوا وسط الكتب وفي خضم نقاشات ثقافية لا يحسون بالاغتراب عندما يلجون المدرسة... أما الذين كبروا و ترعرعوا في مساحات جرداء، وتفصلهم مسافات عن التلفزيون، ووسائل التثقيف الأخرى، فهم مطالبون بقطع مسافات طويلة للحاق بأبناء الطبقات العليا ما دام لا شيء يتحدث إليهم، لا الأشياء ولا الأشخاص ولا الأنشطة المدرسية (PERRENOUD, 1990, pp 21-23).

في نفس السياق يرى بورديو وباسرون ـ قبل ذلك ـ بأن الثقافة السائدة في المجتمع ليست ثقافة واحدة ومنسجمة، وإنما هي نظام من الرموز والدلالات يتسم بنوع من التراتبية، بحيث تشكل الثقافة تبعا لذلك رهانا للصراعات بين مختلف

المجموعات الاجتماعية بهدف الحفاظ على المسافات التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية (BONNEWITZ, 2002, p 75).

وبلغة أوضح هناك ثقافتان تخترقان المجتمع، الثقافة البرجوازية "الراقية والنبيلة" والثقافة الشعبية "الهامشية والمنبوذة"، تسعى الأولى إلى فرض سيطرتها على اعتبار أنها الثقافة المشروعة، بينما تعاني الثقافة الشعبية من العنف الرمزي الذي يسلط على المتحدثين بها.

لقد قام بورديو (وباسرون) بدراسة سوسيولوجية على عينة كبيرة من الأسر بهدف رصد العلاقة بين متغير الوسط الثقافي والنجاح المدرسي، فتوصل إلى نتائج حاسمة، مفادها أن التفاوت في النجاح المدرسي بين أبناء الطبقة المهيمنة ـ ثقافيا ـ وأبناء الطبقات المهيمن عليها ـ ثقافيا ـ يرتبط ارتباطا وثيقا بانتمائهم الاجتماعي والثقافي واللساني، إذا أن نسبة 6% فقط من أبناء الأسر العاملة، في فرنسا، هم فقط من نجحوا في الولوج إلى سلك التعليم العالي (BOURDIEU, 1964, p11). وهذا يعني أن الوسط الجامعي إنما هو وسط محتكر من قبل أبناء الأسر البرجوازية أي الورثة، كما يسميهم في كتاب له، موسوم بنفس العنوان.

يبدو إذن أن التفاوت في الرأسمال الثقافي بين الأسر هو السبب في التفاوت في النجاح المدرسي بين الأبناء. وكما يعتبر اللاتكافؤ في الرصيد الثقافي بين الأسر سببا في التفاوتات المدرسية، كذلك، يعتبر اللاتكافؤ في الرصيد اللغوي بين الأسر المحظوظة والأسر الفقيرة سببا أساسيا في التباين الحاصل في مؤشرات النجاح ومؤشرات الولوج للجامعات. ومعنى هذا أن المدرسة لا تكافئ حسب بورديو التمكن من اللغة بقدر ما تكافئ طريقة استعمال اللغة وكيفية النطق بها والأسلوب الراقي السائد في الأوساط الأسرية المحظوظة.

فالوظيفة الرئيسية للخطاب اللغوي لا تكمن في التواصل وتبادل الرموز الأكثر أو الأقل تثمينا، ولكن هذه الوظيفة تتجلى في نوعية من يتحدث وكيف يتحدث والسلطة التي يعبر عنها موقعه في النظام التراتبي. وبصيغة أوضح، فإن اللغة التي تثمنها المدرسة هي اللغة كما تتداول في الأوساط الراقية بلكنتها الخاصة وحركاتها وسكناتها الخاصة وبانتقائها لما يجب أن يتضمنه الخطاب وما يجب أن يتجنبه. ولأن الأبناء الذين ينحدرون من أوساط أسرية شعبية لهم خطابهم اللغوي الخاص بهم والبعيد عن المدرسة، فإنهم يواجهون صعوبات في التأقلم مع لغة "الأسر الراقية"، وهو ما يعرقل تحصيلهم الدراسي وبالتالي نجاحهم المدرسي.

ISSN : 3156-9579

وفي نفس السياق يسير عالم الاجتماع اللغوي البريطاني بازيل برنشتاين Basil Bernstein الذي خص موضوع الرأسمال اللغوي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، بأهمية خاصة[1].

انطلق برنشتاين من التمييز في إطار اللغة بين ما سماه اللغة الرسمية أو الرمزية المكتوبة، وما دعاه باللغة المحكِية أو الدارجة أو العامية، ويتميز كل صنف منهما بسمات خاصة:

- ✓ فأما اللغة الرسمية فتأخذ الكلمات والعبارات (في إطارها) مكانها المناسب في سياق دقيق وفي انضباط لقواعد اللغة.
- ✓ تعتمد أيضا على درجة عالية من التسلسل المنطقي، واحترام العلاقات السببية بين الأشياء، واحترام المنطق الذي يحكم المكان والزمان.
- ✓ كما تميل إلى احترام طبيعة الضمائر فتستعمل هو لضمير الغائب وهي لضمير الغائبة وهم ...
- ✓ إنها غنية بالصفات والظروف وحروف الجر ذات الدلالة المنطقية.

هذه الخصائص تجعل من اللغة الرسمية، نظاما منطقيا ورمزيا متكاملا يُتيح للأفراد المستعملين لهذه اللغة تفكيرا منطقيا ومجردا ومنظما.

وعلى خلاف ذلك تتسم اللغة العامية بعدد من الخصائص أهمها:

- ✓ نقص عباراتها وقصر جملها، وعدم اكتراثها بالقواعد.
- ✓ توظيفها للتعابير الحسية والمُشخَّصة، واستعانتها بالإشارات، والحركات، والإيماءات.
- ✓ افتقارها للاستعمال المكثف للصفات والظروف.
- ✓ استخدامها العشوائي لأدوات الربط الطفيلية من قبيل: وهكذا، وبالتالي، وإن، لأن...
- ✓ لا مبالاتها بضبط طبيعة الضمائر: هي، هو، هم...
- ✓ اشتمالها على عدد من الاستفهامات الغامضة مثل: أكيد! تصور! أليس كذلك!...
- ✓ خلطها بين الأسباب والنتائج.

[1] تجدر الإشارة إلى وجود تقارب إبستيمولوجي بين بازيل برنشتاين وبورديو، تدل على ذلك ترجمة مجموعة من مقالات برنشتاين في سوسيولوجيا اللغة من قبل فريق من الباحثين قريبين من بورديو، كما أن كتاب برنشتاين " Langage et classes sociales "قد تُرجم من قبل مجموعة من الباحثين، ونُشر ضمن منشورات '' collection le sens commun"التي يُديرها بورديو.

✓ غموض وعمومية استخدامها الرمزي.

يتضح من خلال ما سبق أن اللغة الرسمية تعتمد كثيرا على التسلسل المنطقي والنحوي، كما تتسم بالرمزية العالية واحترام طبيعة الضمائر على خلاف اللغة العامية التي يغلب عليها الطابع الحسي التشخيصي وعدم دقتها في استعمال الضمائر، وإخلالها بالعلاقات السببية والمنطقية.[2]

هذا فيما يخص طبيعة وخصائص كل من اللغة الرسمية واللغة العامية، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة تتأثر بالمحيط كما تتفاعل جدليا مع الإدراك: فلكل وسط اجتماعي شروطه المادية ومعطياته الفكرية والثقافية وعلاقاته الاجتماعية الخاصة. ويتباين الوسط العمالي عن وسط الفلاحين كما يختلف الوسطان عن وسط الطبقات المتوسطة، إذ لكل وسط حقله اللغوي الدلالي الخاص وشبكته المفاهيمية واللغوية المتميزة، وطريقة تفكيره وتعبيره التي تميزه. لذلك من الطبيعي أن يفكر أبناء الفلاحين في إطار تفكير لغوي يُخِلُّ باحترام العلاقات المنطقية والسببية التي تحكم الأشياء، بالإضافة إلى منح الصدفة دورا أساسيا في العمليات الذهنية التي يقومون بها. هذا على خلاف أبناء الطبقات الوسطى الذين يتسم تفكيرهم ولغتهم بالميل إلى التحليل والتجريد واحترام العلاقات السببية والمنطقية بين الأشياء. وفي هذا السياق "يصف بازيل برنشتاين الفروق القائمة بين الأنظمة الإدراكية لكل من الفئات المذكورة على النحو التالي: يشدد النظام الإدراكي عند أبناء الفئات الوسطى على أهمية العلاقة بين الوسائل والغايات على المدى البعيد، ويميل إلى إبراز التباين القائم بين الأشياء، ويمكن من توظيف التدابير المناسبة لتحقيق الغايات البعيدة. وعلى خلاف ذلك يميل النظام الإدراكي الخاص بأبناء العمال إلى التركيز على اتخاذ القرارات الآنية. ويلاحظ هنا غياب أهمية العلاقات الممكنة بين الوسائل والغايات. ويعمل هذا النظام الإدراكي على إبراز أهمية التجانس في بنية الأشياء لا أهمية الفروق القائمة بينها (كما يرى برنشتاين). ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى طبيعة التفاعل بين الإدراك واللغة، إذ يمارس كل منهما تأثيره على الآخر في إطار علاقة جدلية متواصلة، حيث يعمل كل منهما إما على إغناء الآخر أو إفقاره. وهذا يعني أن التباين بين الأنظمة الإدراكية الاجتماعية، من شأنه أن يحدد مستوى اللغة وشكلها وطابع تطورها عند أبناء كل فئة اجتماعية معينة. واختصارا، يمكن القول أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمادية والمعرفية الخاصة بكل وسط اجتماعي هي التي تحدد النموذج اللغوي السائد شكلا ومضمونا، ويتم ذلك كله بموجب عمليات نفسية واجتماعية بالغة الأهمية والتعقيد" (وطفة، 19، 08، 2022).

[2] اعتمدت في هذه الفقرات على: **وطفة** ، علي أسعد ، *اللغة والانتماء الاجتماعي: رؤية نقدية في طروحات بازيل برنشتاين*، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، يناير 2013. ص19–20 عبر الخط: www.alrafedien.com

وإذا كانت اللغة في تداخلها مع العمليات الذهنية والعقلية نتاجا للوسط الاجتماعي الذي ينمو ويترعرع في إطاره الطفل، فإن طبيعة اللغة تلعب بدون شك دورا حاسما في النجاح أو الفشل المدرسيين للطفل. وبناء على ذلك فمن الطبيعي أن يُلاقي الأبناء المنحدرون من الأوساط الأسرية المتوسطة والعليا النجاح والتوفيق بالقياس مع الأبناء المنحدرين من الأوساط الاجتماعية الدنيا، أي طبقة العمال والفلاحين. ويرجع ذلك إلى كون اللغة والمعارف وطريقة التفكير المتداولة في الأوساط الاجتماعية الراقية والمتوسطة هي نفسها السائدة في المدرسة. لذلك يجد أبناء الفئات الاجتماعية العليا والمتوسطة سهولة في الاندماج السلس والانسجام الفوري مع الثقافة المدرسية، كما يجدون سهولة كبيرة في التحصيل الدراسي، بينما يجد أبناء الفئات الدنيا صعوبة كبيرة في الاندماج مع الثقافة المدرسية لكونها تتعارض بصفة كلية مع ثقافتهم ولغتهم، كما يصطدمون بصعوبات جمة في الدراسة والتحصيل.

في ذات المنحى، يرى تازوتي يوسفTazouti.Y أن المستويات التعليمية للآباء وما يراكمونه من معرفة وثقافة لها أثر بليغ على دافعيتهم إلى التحصيل وحافزيتهم للتفاعل الإيجابي مع متطلباتهم الدراسية، وهو ما ينعكس إيجابا على نجاحهم (Tazouti, 2005, pp29-46).

في نفس سياق التحليل السابق يمكن القول أن للرأسمال الثقافي واللغوي والتعليمي للأسر المغربية دور كبير في النجاح والتألق المدرسي للأبناء أو تأخرهم وتعثرهم الدراسي.

وإذا كان المشهد الثقافي واللغوي في المغرب هو مشهد يتسم بطغيان الازدواجية الثقافية واللغوية العربية والفرنسية، فإن الأسر المتشبعة بهذا الإرث الثقافي واللساني، هي الأسر التي تمتلك أكبر الحظوظ من حيث النجاح المدرسي لأبنائها، وذلك لانسجام هذا النمط من الثقافة واللغة مع النمط المعمول به في النظام التعليمي المغربي، وهذا رغم الانفتاح النسبي لهذا النظام على ثقافات ولغات أخرى نذكر منها الإنجليزية والاسبانية والأمازيغية.

3-1 المقاربة الاجتماعية.

نقصد بالوسط الاجتماعي نوعية العلاقات السائدة بين الأفراد المكونين للأسرة ومجريات الحياة اليومية داخل البيت الذي يعيش في إطاره الأبناء ويتفاعلون، فيتأثرون بها سلبا أو إيجابا.

والواقع أن الأجواء الأسرية التي يحيا ويترعرع الأطفال داخلها هي أجواء مختلفة ومتباينة، إذ هي لدى البعض أجواء ملائمة، تتسم بالتوافق والانسجام والاستقرار، ولدى البعض الآخر أجواء مطبوعة بالتوترات والصراعات، وإن كانت هذه الأجواء لا تدوم ولا تستمر داخل كل أسرة، بل معرضة للتبدل والتقلب بتقلب الأحوال والظروف والملابسات.

غير أن الأجواء المثالية التي يمكن أن ينمو ويترعرع في إطارها الأطفال بشكل طبيعي، هي الأجواء التي يشعر في نطاقها الأبناء بالأمان ، فالأجواء المستقرة والهادئة من شأنها ضمان تطور سليم للأبناء، وهو ما من شأنه أن يهيئهم لتحقيق مسيرة

دراسية ناجحة. وتتلخص الأجواء الاجتماعية السليمة داخل الأسرة في الحضور الوازن والمسؤول للأبوين والحوار والتواصل المستمر بين الأسرة فيما بينهما وكذا مع أبنائهما، فعناصر الحياة اليومية في البيت تترك على الطفل بصماتها، وتحدد من ثم اتجاهاته الأساسية (أوزي، 2000، ص43).

وعلى خلاف الأسر التي تستطيع ضمان مثل هذه الأجواء السوسيواقتصادية المتوازنة والمستقرة، نجد هناك العديد من الأسر التي يغيب فيها الانسجام والتوافق والتوازن، وذلك لأسباب عديدة ترتبط بعدم وجود أحد الوالدين إما بسبب الوفاة، أو الطلاق، أو بسبب الغياب الطويل الذي يفرضه العمل (المهاجرون / الجنود) أو بسبب تجديد الأسرةreconstitution de famille، وأحيانا ترتبط الأجواء المتوترة داخل بعض الأسر بالعلاقة السيئة بين الوالدين أو الخصومات والشجارات المتكررة أمام أعين الأطفال أو بسبب الصراعات بين الإخوة...والتي تكون في الغالب نتاجا لأوضاع مالية صعبة.

إن الأشخاص المتوازنين يحتاجون إلى طفولة يغمرها الحب والحنان والعطف والدفء العائلي والتضامن والثقة في النفس وبكلمة واحدة الشعور بالأمن، بينما الأشخاص المنحرفين هم في الغالب نتاج ما لحقهم من حيف وجرح وأذى مباشر أو غير مباشر في طفولتهم، من قبل آباء غير قادرين على القيام برسالتهم التربوية كما يجب.

إن الطفل كما يرى أوزي بحاجة إلى الأمن، وهذه الكلمات تحمل من الناحية العملية مجموع الشروط الضرورية للتطور العاطفي الجيد للطفل الذي لخصه بريستون Breston في ثلاث كلمات هي: الحب والقبول ، من قبل الأسرة، والاستقرار (أوزي، 200، ص44).

ولا يجب أن نفهم من كلمة حب هنا ذلك الحب الشكلي الخادع أو المقنع، ولكن الحب الصادق والحقيقي والخالص. إن الحب لا يمكن أن يقوم بدوره الأساسي في توفير الأمن للطفل ما لم يشعر هذا الأخير بأنه مرغوب فيه حقيقة من قبل أسرته، وخصوصا الطفل الذي يولد دون انتظار له أو ولادة طفل أنثى لدى أسرة تنتظر طفلا ذكرا... إن الطفل ينبغي أن يكون مرغوبا فيه لذاته ومقبولا بما هو عليه وليس بما يقوم به (أوزي، 200، ص44).

لكن التركيز على ضرورة توفير الأمن للطفل من قبل الأسرة لا يجب أن نفهمه على أن ذلك بمثابة حاجة دائمة، بل كحاجة مؤقتة مرتبطة بمرحلة الطفولة، إذ أن الأسرة مطالبة بعدم الإفراط في إحاطة الابن بالأمن والرعاية الزائدتين خاصة في مقتبل شبابه أي عند بلوغه سن الرشد، فآنذاك ينبغي أن يتحمل مسؤوليته وأن يتقبل الشعور بعدم الأمن باعتباره خطرا موضوعيا وعاديا.

غير أن التعامل على أساس المحبة اتجاه الطفل والحرص على أمنه وسلامته يزداد لدى الأسر التي لها طفل واحد أو طفلة، ولكن سرعان ما يتناقص عند قدوم طفل ثاني أو ثالث...ويكاد يتلاشى عندما يتجاوز العدد خمسة أو ستة أطفال! وهذا

يعني أن الأسر التي تتسم بتضخم في نسبة الخصوبة، لا تنجح في الغالب في ضمان نوع من التوازن العاطفي في التعامل مع الأبناء وهو ما يؤثر سلبا على نموهم العاطفي والعقلي، إذ لا يمكن للأبوين أن يخصصا ما يكفي من الوقت للحديث إلى كل طفل والاستماع إلى حاجاته ورغباته وتخصيص الوقت لكل واحد للخروج أو اللعب معه أو مواكبته...وتشجيعه في مختلف المواقف التي يبدي فيها تفوقا، ومساندته والوقوف بجانبه عندما يتعثر أو لا يصل إلى الهدف.

وكما أن الأسرة مطالبة بتبني نوع من التوازن والاعتدال في الحرص على أمن الطفل بحيث لا يتسم بالغلو أو الاستمرارية، فالأسر كذلك مطالبة في عاطفتها تجاه الأطفال بالالتزام بالاعتدال، فلا يكون هناك إفراط في حب الأبناء ولا تفريط، لأن المبالغة في حب الأطفال وتلبية كل حاجياتهم يجعل منهم أطفالا مدللين قليلي الاعتماد على النفس، وحرمان الأطفال وإهمال حاجاتهم واللامبالاة تجاه مطالبهم الموضوعية يخلف عندهم فقدان الأمان والثقة، وقد يدفعهم إلى التمرد والعصيان.

خاتمة

وخلاصة القول أن الأسر التي تضمن لأبنائها جوا سوسيواقتصاديا مستقرا، تزداد ثقتهم بنفسهم ويتضاعف اهتمامهم وتركيزهم بعملهم الدراسي، وبالتالي يكونون من ضمن المتفوقين دراسيا. وعلى العكس من ذلك فإن الأسر التي تعاني من مشاكل الاضطراب والتفكك وانعدام الاستقرار وتعجز عن تحقيق تواصل إيجابي مع أبنائها، ولا توفر لهم ما يكفي من الحب والتشجيع والثقة في النفس، يكونون في الغالب عرضة للإحباط والفشل الدراسيين.

يتبين من خلال ما سبق وجود علاقة ترابطية قوية بين الأوضاع السوسيواقتصادية للأسر والنجاح المدرسي للأبناء. فالأطفال الذين ينتمون إلى أسر ميسورة لا تجد أية صعوبة في توفير كل ما يحتاجه الطفل من موارد تسهل تحصيله المدرسي، والأطفال الذين ينسبون إلى أسر مستقرة اجتماعيا واقتصاديا، يكونون مرشحين أكثر لمستقبل دراسي واعد، ونفس الشيء بالنسبة للأبناء الذين ينمون ويترعرعون في فضاء أسري تتمتع فيه الأسر برأسمال ثقافي ولساني متميز، ويتشربون هذه الثقافة وهذه اللغة، فهم لا يجدون أية صعوبات في دراستهم طالما أن ما يتداول في محيطهم الأسري هو نفسه ما يطلب من قبل المدرسين.

صحيح أن العلاقة بين العوامل السابقة والنجاح المدرسي للأبناء ليست حتمية دائما وأبدا، ولكن لا أحد ينكر ما للوسط السوسيواقتصادي من تأثير على النجاح المدرسي لهؤلاء.

المراجع

بالعربية:

- أوزي أحمد، (2000). المراهق والعلاقات المدرسية، منشورات مجلة علوم التربية، العدد 8، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- إيلتش، إيفان. عن وطفة علي، (2013). اللغة والانتماء الاجتماعي: رؤية نقدية في طروحات بازيل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، اطلع عليه بتاريخ 2022.12.17 ، الرابط: www.alrafedien.com .
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، دراسة وطنية: الأسر والتربية، التمثلات والانتظارات والتطلعات، يونيو 2019.
- وطفة، علي. ورد عند الشهاب، جاسم، علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، اطلع عليه بتاريخ 2022.12.17 ، الرابط: watfa@maktoub.com
- وطفة، علي، أسعد، اللغة والطبقة والانتماء الاجتماعي، رؤية نقدية في طروحات بازيل برنشتاين، تاريخ الاطلاع : 19.08.2022عبر الرابط: https://watfa.net/wp-content/pdf

بالفرنسية:

- BISSERET Noêlle, *Les inégaux ou la sélection universitaire*. Paris. Presses universitaires de France,1974 Revue française de pédagogie,1975, num: 32-1-2020 t1-0071-0000-1 ,p 71. En ligne via : https://www.persee.fr/doc/rfp 0556 -7807-1975
- BONNEWITZ Patrice, (2002), Première leçon sur la sociologie de Pierre Bourdieu, PUF,2ème Edition.p75
- BOUDON, Raymond, *L'inégalité des chances: La mobilité sociale dans les sociétés industrielles*, Revue française . p108.
- BOURDIEU P, *Les héritiers*. Edition Minuit. Paris ,1964. p11.
- PERRENOUD ,Philippe. *Culture scolaire, culture élitaire ?* coordination n°37, mai 1990, p p 21-23 consulté le 01/01/2022,En ligne : www.unige.ch/fapse/SSE/teachers/perrenoud/php-1990/1990-03.html

- TAZOUTI Youssef : *Relations entre l'implication parentale dans la scolarité et les performances scolaires de l'enfant.* consulté le 10/01/2021, En ligne : https://shs.cairn.info/revue-la-revue-internationale-de-l-education-familiale-2014-2-page-101-116.?lang-fr